القسم في القرآن

القسم : ضرب من ضروب التأكيد والتوفيق في الكلام يؤتى به لتقوية الخبر وتحقيقه . وللتأكيد في الكلام صيغ وعبارات ودرجات هي من أدق اساليب البلاغة .

ان القرآن الكريم قد جاء على اسلوب كلام العرب الذي يكثر فيها القسم ، ولكن اقسام القرآن قد امتاز بها على سائر الكلام العربي بما فيها التناسب والملاءمة للمقسم عليه المقصود بالتأكيد لتقرير الاخبار في النفوس وتثبيتها في الاذهان .

وقد جاء القسم في القرآن على ضروب شتى :

فمن القسم بذاته تعالى وصفاته ، الى القسم بالنفس وما سواها ، وباليوم الموعود ، وبالقوى الروحانية الصالحة ، وبحياة الرسول الكريم ، وبالقرآن العظيم ، الى القسم باظهر ما يقع عليه الحس او يدركه العقل من نماذج البدائع الكونية الدالة على عظمة المبدع وبالغ حكمته ، فاقسم تعالى بالسماء وما بناها ، والشمس والقمر والنجوم والفجر والصبح والضحى

والعصر والليل والنهار والليالي العشر والشفع والوتر ، وبالارض وبحارها وجبالها ، والبلد الامين والبيت المعمور ، وبالرياح المرسلات ، والذاريات الناثرات ، والسحب والامطار ، وبالوالد وما ولد ، وبالقلم وما يسطرون ، وبما يبصرون ومالا يبصرون

وتوجد مناسبات بين المقسم به والمقسم عليه ، وهذا النوع من التناسب بين أجزاء القول من اسمى ضروب البلاغة التى ترفع من قدر الكلام وتزيد فى مائه ورواءه وبهائه .

اقسم تعالى بالتين والزيتون وطور سينين والبلد الامين فقال تعالى « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم . . الخ » ليبين للناس مكانتها وعظم نفعها ونعمة الله عليهم فيها . وليس المراد القسم بالمطعوم والمأكول بل القسم بمنابت التين والزيتون وهي فلسطين ، فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه ، فالكلام على حذف مضاف ، أي منبت التين والزيتون ويؤيد ذلك ما ورد بعدهما وهو قوله تعالى (وطور سينين وهذا البلد الامين) لأن المراد من الطور المكان الذي

نودي منه موسى عليه السلام، والبلد الامين هو المكان الذي ظهرت فيه دعوة الاسلام وولد فيه محمد ﷺ . وانما اقسم تعالى بهذه الاماكن ليبين انها من البقاع التي انبثق منها نور النبوة والهدى على العالمين ولما لها من المنزلة في نفوس المؤمنين من جميع الاقوام .

واقسم تعالى بالقلم وما يسطرون فقال « ن . والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون » لان المشركين قد كانوا يقولون للنبي ﷺ (يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) وقد جاء الجواب بالسلب المؤكد فاقسم تعالى بابسط عناصر القول وهي حروف الهجاء ، وباخص ادوات العلم وهو القلم وبالعلم نفسه على تنزيه محمد ﷺ عما رموه به ، لأن هذه كلها من خصائص الانسان العاقل بل هي من اجلى مزاياه واسماها .

واقسم تعالى بالضحى والليل اذا سجى فقال (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى) فكان القسم بالضوء في شباب النهار وبالظلام عندما يضرب على الارض بجرانه انه لم يهمل امرك يا محمد ولم يبغضك .

وقد جاء هذا القسم رداً على اعدائه عليه الصلاة والسلام حينما قالوا (ان ربه ودعه وقلاه) على اثر تخلف الوحي عن الرسول الكريم بضعة عشر يوماً فاشتد حزنه عليه الصلاة والسلام .

وان الصلة وثيقة بين الضياء والوحي بقدر وثوق الصلة بين الظلام وانقطاع الوحي ، وفي هذا اشارة الى ان الوحي وعدمه يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار .

واقسم تعالى بالنجم المنير الذي لا يضل السبيل وبه يهتدي السارون في ظلمات البر والبحر بقوله : (والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) . ان محمداً عليه الصلاة والسلام على أهدى السبل واقصرها ، فكما ان المهتدي بالنجم عند انحداره في سيره لا يضل فكذا الرسول الاعظم ﷺ قد انتهج انهج الطرق واقومها لهداية البشر .

وقال تعالى (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم) اذ النجم من اعلام الاهتداء في العاديات ويضرب به المثل في الرفعة وعلو المنزلة ، والقرآن علم الهداية في المعنويات وفي المكانة التي لا تسامى .

وقال تعالى (فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم) . فاقسم تعالى بالدراري التي نراها ونحن على الارض تجري مع الشمس ، ثم نراها راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ، واردف ذلك بالليل عند ادباره والصبح عند اقباله ، وذلك لتثبيت ان القرآن وحي الهي يستضاء بنوره لمعرفة مالا تستقل العقول بادراكه (وانزلنا اليكم نوراً مبيناً)

وقال تعالى (والذاريات ذروا فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً فالمقسمات امراً ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع) . فاقسم بالريح التي تذرو البخار فينعقد سحاباً تحمله فتجري به في اجواز الفضاء وتوزعه على مختلف البقاع على صدق الموعود من البعث والنشور والحساب فالثواب او العقاب

وفي هذا تمثيل للبدء والعود ، فقطرة الماء بعد ان تتفرق ذرات دقيقة وتتبعثر في متاهه الفضاء ترجع الى سيرتها الاولى من جديد فتتحدر الى انهارها فبحارها وان طال عليها الزمن ، كذلك حال الانسان (كما بدأكم تعودون)

وقال تعالى (والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً عذراً او نذراً ان ما توعدون لواقع) . فالرياح هي التي تبشر بالمطر قبل نزوله كما تنذر بكثير من العوارض الجوية ، والمرسلات الرياح الطليقة : والعرف التتابع ، والعاصفات الشديدة ، والناشرات الرياح تثير ذرات الماء فتنشرها في الفضاء ، والفارقات المقسمات ، ذكر تعالى هذه كلها لينبه الى ان ماوعد به الانسان من نعيم وعقاب وحشر ونشر لواقع وهو ملاقيه

واقسم تعالى بالزمن وابعاضه كالليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ، فقال تعالى (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وماخلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى) ليدل بذلك على مالهذا الزمن عند الله من مكانة تفهم الانسان انه ماخلق هذا الزمن عبثاً وما انعم الله به عليه ليشغله باللهو واللعب ويقطعه بالهزء والسخرية وزور القول ومنكره بل ليشغله بعبادة الله المنعم به وعمل ماينفعه ويفيده فان الله جاعل في مقابلة هذا الزمن القليل حياة آخرة ابدية لا تفنى ولا تنتهي ، فكل لحظة من زمن

الانسان وعمره هنا يقابلها آلاف السنين بل اضعاف ذلك في جنات تجري من تحتها الانهار — او نار وقودها النـــاس والحجارة ، فما كان هذا شأنه كان جديراً بان يقسم الله به ليرد اللاهين اللاعبين فيه عن غيهم واضاعتهم لهذا الوقت الثمين .

ويرد ايضاً على من ينسب الى الزمن النحس والشر والفساد فيسبه ويقول هذا زمن سوء وفساد وما الى ذلك مما هو من عمل الانسان وسوء تقديره ، ولا عيب على الزمان ولا ذنب له في فساد الانسان وسوء عمله ، وليذبه على ما في هذا الزمن من عظيم آيات الله الدالة على بليغ قدرته وبديع حكمته ، فانه قسمه الى ليل ونهار وظلمة وضياء وجعل في النهار الشمس سراجاً وفي الليل القمر نوراً وفي تعاقبهما وعدم ادراك احدهما الآخر أجل الآيات وابلغها لقوم يفقهون . (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قـــدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

وان في مرور الليل والنهار واعتدالها تارة واخذ احدهما من صاحبه تارة ، واختلافهما في الحر والبرد والربيع والخريف والشتاء والصيف ، وانتشار الحيوان وسكونه وانقسام العصر الى سنين وشهور والايام والساعات ان في كل ذلك لآيات لقوم يعقلون . (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون)

(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

قال الشيخ عبدالعزيز جاويش :

اعلم ان لاستعمال القسم في سائر اللغات مقاصد عدة تختلف صورته باختلافها وتتنوع صيغه طبقاً لها وليس هذا من خصائص اللغة العربية بل يشاركها في ذلك سائر اللغات العالية بل واللهجات الدنيا والرطانات البربرية فتجد الناس في كل مكان يحلفون برؤوس آبائهم وبشرف نفسهم وبقديم مجدهم

وبقبور اقربائهم وبعيون احبائهم وكذلك نجدهم يحلفون برأس المخاطب ولحيته وشرفه وبما يعز عليه من اولاده واحبته وهلم جرا .

والدارسون لغير اللغة العربية يشهدون معنا ان هذه الاقسام لم تكن مقصورة على القرآن ولا خاصة بلغة العرب ، ولكن لامراء ان العرب يتوسعون فيها كثيراً ويستعملونها في مواطن لا تقع لغيرهم من اصحاب اللغات الأخرى فهم في كثير من مواطن التأكيد لا يكاد يخلو كلامهم من الاقسام بعزيز عليهم أو شيء ذي بال لديهم . الى ان قال :

واذا علمت مما اسلفنا ان القرآن الكريم نزل بلسان العرب ادركت بكل وضوح وجلاء سر ماجاء فيه من الاقسام . فالقرآن الكريم في مواطن التأكيد والتنبيه واستمالة المخاطبين الى القول بما يقصه من الاخبار وما يأتي به من الاحكام يسلك سائر مسالك العرب في ايمانهم مطابقة لمقتضيات الاحوال وجرياً على سنة اهل ذلك اللسان .

ومن العبث والهوس ان يتساءل الناس كيف يحلف الله

بخلقه وهو لا يرجوهم ولا يخشاهم ، أو كيف يحلف بغيره وهو الذي حرم الحلف بغير اسمه الشريف ، أو كيف يحلف الله على ما ينقص من الاخبار وهو اصدق القائلين الى نحو ذلك مما ملأ به المفسرون كتبهم من ضروب الشكوك وصنوف الاشكال ، فاذا جرت الاقسام في سور القرآن وآياته فانما ذلك لمعان اقتضتها البلاغة واستلزمتها الصناعة ونوعت صيغها وصورتها اسبابها المتنوعة ومراميها المختلفة .

فالقرآن الكريم لاسباب بلاغية يقسم بذات الله وبرسوله وبالتين والزيتون والطور والصافات والزاجرات والشمس والقمر والنجم والليل والعصر وبالقلم وما يسطره وبالسماء والارض والنفس وهكذا ... اه

وقال الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري :

ان الله اقسم باشياء مما خلق وعمد الى ماجل شكله وعظم نفعه وبهر حسابه فعدده في اقسامه .

ولعمرى أن النوع البشري لن يقسم إلا بعظم لديه أو بمسيطر عليه . يقول الولد وحق والدي ، وتقول الرعية ورأس

فلان الحاكم ، والجندي يقسم بشرف الجندية ، ويقسم الوزراء بالملوك ، ونسمع الرجل يحلف بعينيه لما يرى من منفعتهما وزينتهما. وقد اقسم الله باشياء عددها وصنوف من نعم ابدعها كالشمس والقمر والكواكب ولم يكن ذلك لخوفه منها فانه الخالق لن يهاب ماخلق ولن يحتاج لما ذرأ وأبدع . أقسم بها إذ رأى نوع الانسان يقسم بما عظم نفعه وعز عليه فلفتهم وايقظهم الى ما ذرأ ونبههم الى مصنوعاته ليعرفوها فلم يرد أن يعبدوها إذ لا إله إلا الله ، فالاقسام بها يرجع الى عزتها وشرفها ولم يكن ذلك لتحريضهم على الحصول عليها بوجودها في حوزتهم فذلك مستحيل فرجع الامر الى العلم وفات الانسان أن يملك هذه العوالم ويسيطر عليها إذ لا سلطان إلا لواحد هو الله فكان المقصود من الاقسام فى حقهم ان يعرفوا جلالة مايصنع ويتبعوا حركات الافلاك وعلوم الضوء وحسابه والمشارق والمغارب ويشرحوا تلك الاجسام ويلاحظوا حركاتها وسكناتها لترقى نفوسهم الى علوها وشرفها ، فتراه عزشأنه أقسم بالفجر والفلق (وهو الصبح) والشمس والضحى

والنهار والعصر والليل اذا يغشى (يغطي) المخلوقات كأنه ملاءة منشورة عليهم والليـــل اذا يسري يسير حول الكرة الارضية تابعاً النهار — والنهار يتبعه ، واقسم بالليالي العشر في اول كل شهر عربي لغلبـــة ظلامها على ضوئها ، واقسم بالنجم اذا هوى تنبيهاً على مغارب النجوم وايقاظاً لها ، واقسم بمواقع النجوم واماكنها الواقعة فيها ودوائرها ، ثم اعقبه بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم ، فاذا اقسم وعظم القسم فهل يكون ذلك إلا للفت النفوس اليها لتعرف مواقعها وقياسها وابعادها وحركاتها وسكناتها ، وقال (اقسم برب المشارق والمغارب) أي محل الشروق والغروب ، واقسم بالشفق وبالليل وبما وسق الليل أي جمع ، وأقسم بالقمر وبالسماء ذات البروج تنبيهاً لمعرفتها لتعرف السنون والشهور والايام ، واقسم بالسماء ووصفها بانها ذات الحبـــك أي طرف النجوم وبالقمر اذا اتسق امتلأ بالنور ، واقسم بالسماء وبمن بناها ، واقسم بالنازعات غرقاً وهي النجوم التي ترمي شهباً عن دوائرها المشبهات للقوس فكأن النجم انسان والدائرة قوس والشهاب

الساقط سهم ، وذكر انها نشطات في سيرها مسرعات فيه تتم دورتها سريعاً (فالمدبرات امراً) وهي هذه النجوم لانها بها يتم تدبير العالم ، فذكر هـــذه الكواكب والعوالم ومواقعها ليحرض السامعين على البحث عنها فيعرفون الفلك والميقات وحساب الكواكب وابعادها واجرامها وتحليلها واعـــدادها بقدر الاستطاعة ويبحثون عن الضوء في الطبيعة . ثم ان الله تعالى اقسم بذكر اشياء اخرى مما تحت الفلك واحاط بالكرة الارضية فاقسم بالرياح الذاريات والجبال فقال (والذاريات ذروا فالحـــاملات وقراً) أى الرياح التي تحمل السحاب وتذروا الاشيـــاء . واقسم بالارض وماطحاها ، فالارض مفهومة وطحوها دحوها وتسويتها واتقانها ، واقسم بالجبل فقال (وطور سينين) وبالنبات فقال (والتين والزيتون) وبالبلد الذي خرج منه سيدنا محمد ﷺ فقـال (وهذا البلد الامين) واقسم بالخيل فقال (والعاديات ضبحاً) اي الخيل التي تعدو وهي تضبح في الجري ضبحاً ، واقسم بكل ما يحس فكأنه اقسم بكل محسوس وبكل ما يحس به وكأنه اقسم

بالناطق والصامت فقـــال (وشاهد ومشهود) واقسم بيوم القيامة وبيوم الجزاء وبيوم الميعاد الذي سيجازي فيه الناس ، واقسم بالكتب المسطرة المنشورة وهي ما يقرؤه النـــاس ، واقسم بالبحر ثم عمم القسم بكل ما خلق فقـــال (اقسم بما يبصرون وما لا يبصرون) فكأنه اقسم بكل شيء . اذاً العالم قسمان : ما يبصر وما لا يبصر ، وجاء بتعميم آخر فاقسم بالشفع والوتر ولا ريب أن العدد اما شفع او وتر .

هذه نحو عشرين قسماً أحاط بهـــا الارض والهواء والسحاب والجبال والنبات والحيوان وخصص الانسان منه فقـــال (ووالد وما ولد) أي اقسم بآدم واولاده وغيرهم ، وخصص ذلك بعد فقال (ونفس وما سواها) فاقسم بالنفوس وتسويتها فتراه أقسم بامهات العالم كلها ، واخيراً اقسم بكل ما خلق مما نشاهد وما لا نشاهد .

تفيد هذه الاقسام بالعلويات وهي تبلغ عشرين وبالسفليات وهي تبلغ العشرين ايضاً ان الله أمر عباده واوجب عليهم النظر في العلويات والسفليات بالتساوي وفي الحساب والهندسة والطبيعة

والكيمياء وعلم العمران والنفس وجميع العلوم اذ لم نخرج في البحث عما ذكر فى تلك الاقسام التي اقسم بها مبدعها . وكأن الأمة التي جهلت ما اقسم به واعرضت عنه ولم توفه حقه من النظر قد اعرضت عما أقبل عليه مبدعها وازورت عما اراده خالقها . . .

obeikandl.com

تناسب الآيات والسور (١)

المناسبة : في اللغة هي المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها الى معنى رابط بينها عام او خاص ، عقلي او حسي او خيالي او غير ذلك من انواع العلاقات او التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه .

وفائدته: جعل اجزاء الكلام بعضها آخذاً باعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التآلف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء .

قال الشيخ ولي الدين الملوي : قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لانها على حسب الوقائع المفرقة ، وفصل الخطاب انها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة

(١) ملخص عن الاتقان واسرار القرآن وغيرهما من التفاسير مع التصرف .

سوره كلها وآياته بالتوقيف ، كما انزل جملة الى بيت العزة .
ومن المعجز البين اسلوبه ونظمه الباهر ، والذي ينبغي فى كل آية ان يبحث اول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها او مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له ...

وذكر الآية بعد الاخرى اما ان يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالاولى ، او كانت الثانية للاولى على وجه التأكيد او التفسير او الاعتراض او البدل . وهذا القسم لا كلام فيه .

وإما الا يظهر الارتباط بل يظهر ان كل جملة مستقلة عن الاخرى وانها خلاف النوع المبدوء به ، فاما ان تكون معطوفة على الاولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم اولا ، فان كانت معطوفة فلابد ان يكون بينها جهة جامعة (كالتضاد وشبه التضاد) وقد جرت عادة القرآن اذا ذكر احكاماً ذكر بعدها وعداً أو وعيداً ليكون باعثاً على العمل بما سبق ، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ليعلم عظم

الآمر الناهي . فان لم تكن الآية معطوفة فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط ، وله اسباب احدها : التنظير فان الحاق النظير بالنظير من الشؤون المعقولة كقوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون » بعد قوله : « اولئك هم المؤمنون حقاً » فانه تعالى امر رسوله ان يمضي لأمره في الغنائم على كره من اصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير او للقتال وهم له كارهون . والغرض ان كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج ، وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الاسلام فكذا يكونون فيما فعله بالقسمة فليطيعوا ما امروا به ويتركوا هوى انفسهم .

ومن اوجه الارتباط بين الجمل او القصص ما يسمى بالجامع الوهمي لأنه ليس في الواقع بجامع حقيقي ناجم عن تناسب وتلاحم بينها وانما هو التضاد او شبه التضاد يجمع في الذهن بين الاشياء المتضادة كالسواد والبياض والموت

والحياة ، او الاشياء المتقابلة كالسماء والارض بمقدار ما بينها من التباعد فى الخارج . ولا جرم ان حضور شيء فى الذهن اذ ذاك حتى عند علماء الذهن من اسباب رسوخ المعنى فى نفس الطالب ذكره منسوباً الى ماسبق لذهن السامع الاحاطة به من المعاني ، وصرحوا بان من الروابط التي تؤدي هذا المقصد وتكني فى تجاذب المعلومات بعضها بعضاً ان يكون بين المعاني القديمة والحديثة تشابه او تقابل .

ولهذا النوع من الروابط أعني التضاد فى الكلام البليغ فوائد جمة ومآرب سامية منها تنبيه السامع وايقاظه قصداً الى تثبيت ما سبق ذكره من الكلام فى ذهن السامع باردافه بسرد ما يضاده او يناقضه او يقابله ، واستيعاب ما للاحق من المزايا والخواص والنتائج التي تخالف مزايا السابق وخواصه ونتائجه .

وان شئت زيادة بيان فاعتبر بما جاء في اول سورة البقرة ، ذلك ان اول السورة كان حديثاً عن القرآن وأنه من شأنه هداية الموصوفين بالايمان من الناس فلما اكملت الآية صفات

اولئك المؤمنين وبينت انهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله وانهم الذين يؤمنون بما انزل على محمد ﷺ وعلى من قبله من الكتب والوحي وانهم يوقنون بالآخرة ، اعقب ذلك حديثه عن الكافرين في قوله : « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » الى آخر ما جاء في الآيات التالية حديثاً عن اولئك الكافرين . ولا يعزب عن الذهن ثمرات تعاقب هذه الاحاديث الواردة في امم من الناس تباينت مسالكها وتضاربت مذاهبها وانما قرن بين حديث المؤمنين وحديث الكافرين مع ان اول السورة حديث عن القرآن نفسه لأن الكتاب الكريم لا يؤمن به سوى المؤمنين الذين سردت الآية صفاتهم ، واما الكافرون الذين ناقضت صفاتهم صفات المؤمنين فانهم سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

فالآيات كلها من اول السورة الى آخر ما جاء حديثاً عن الكافرين من الآيات انما قصد منه تأكيد أمر القرآن والحث على الايمان به والعمل بما تضمنه من ضروب الهداية والارشاد

ولهذا اردفت جميع تلك الآيات بالرجوع الى مبدأ الكلام والتنصيص على الغرض الذي سيقت له تلك الاحاديث السابقة فقال تعالى بعد ما ذكر : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » الى آخر آيات الباب

وقد قال الامام الرازي فى تفسير سورة البقرة : ومن تأمل فى لطائف نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه ، فهو معجز ايضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب اسلوبه ارادوا ذلك ، إلا اني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الاسرار وليس الامر فى هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الابصار صورته

والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

ومن الابواب المألوفة جداً في العربية باب الاستطراد وباب حسن التخلص ، والفرق بين هذين البابين على ما هو

مذكور في مواطنه انه في الاستطراد يذكر الشيء عرضاً بسبب مناسبة تولدت من السياق ، ثم اذا فرغ المتكلم من ذكر ما استطرد له يعود الى اتمام الحديث الاول . واما في التخلص فان المتكلم يتخلص الى ذكر الشيء الذي هو مقصود بالذات ومعنى له فلا ينقلب عنه الى ما قبله .

وحسن التخلص : هو ان ينتقل مما ابتديء به الكلام الى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع معه بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما .

والأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات من جميع القرآن ، هو انك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر مايحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر الى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عن انجرار الكلام في المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف الى الوقوف عليها . فهذا الامر الكلي

المهيمن على حكم الربط بين جميع اجزاء القرآن ، فاذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة .

والترتيب وضع السور في المصحف اسباب تطلع على انه توقيفي صادر عن حكيم :

١ — بحسب الحروف كما في الحواميم .

٢ — موافقة اول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد في المعنى واول البقرة .

٣ — التوازن في اللفظ كآخر تبت واول الاخلاص .

٤ — مشابهة جملة السورة للجملة الاخرى كالضحى وألم نشرح .

قال بعض الأئمة : سورة الفاتحة تضمنت الاقرار بالربوبية والالتجاء اليه في دين الاسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية . وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين ، وآل عمران مكملة لمقصودها .

فالبقرة بمنزلة اقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه لما

تمسك به النصارى، واوجب الحج في آل عمران واما في البقرة فذكر انه مشروع وامر باتمامه بعد الشروع فيه، وكان خطاب النصارى في آل عمران اكثر كما ان خطاب اليهود في البقرة اكثر لأن التوراة اصل والانجيل فرع لها. والنبي ﷺ لما هاجر الى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر الامر كما كان دعاؤه لاهل الشرك قبل اهل الكتاب ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الانبياء، فخوطب به جميع الناس، والسور المدنية فيها خطاب من اقر بالانبياء من اهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا بيا اهل الكتاب، يابني اسرائيل، يا ايها الذين آمنوا.

وأما سورة النساء فتضمنت احكام الاسباب التي بين الناس، وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدرة لهم كالنسب والصهر، ولهذا افتتحت بقوله «اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها» ثم قال «واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام» فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثرت

السورة في احكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالارحام ، فان ابتداء هذا الامر كان بخلق آدم ثم خلق زوجته منه ثم بث منهما رجالا كثيراً ونساء في غاية الكثرة. وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الامة وبها تم الدين ، فهي سورة التكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الاحرام وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والاموال واحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى ، ولهذا ذكر فيها مايختص بشريعة محمد ﷺ كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل ذي دين ، ولهذا أكثر فيها من لفظ الاكمال والاتمام ، وذكر فيها ان من ارتد عوض الله بخير منه ، ولا يزال هذا الدين كاملا ، ولهذا ورد انها آخر ما انزل لما فيها من اشارات الختم والتمام . وهذا الترتيب بين هذه السور الاربع المدنيات من احسن الترتيب

وقال الشيخ طاهر الجزائري في كتابه التبيان ماملخصه :

ومرجع المناسبة هو المعنى الذي يربط بين المتناسبين سواء كان حسياً او عقلياً او غير ذلك . وفائدتها جعل اجزاء الكلام آخذاً باعناق بعض حتى يصير حاله كحال البناء المحكم المتلائم الاجزاء . قال بعض الائمة : من محاسن الكلام ان يرتبط بعضه ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة منسقة المعانى منتظمة المباني . ولنذكر شيئاً مما يتعلق بذلك فنقول :

اذا وردت جملة بعد جملة فان كانت الثانية متممة للاولى كأن تكون مؤكدة لها او مفسرة لها او مبدلة منها فالامر فى ذلك ظاهر ، وان كانت مستقلة عما قبلها ، فان كانت معطوفة عليه فلابد ان يكون بينهما جامع نحو قوله تعالى « يعلم ما يلج فى الارض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها » وقوله تعالى : « والله يقبض ويبسط ، واليه ترجعون » وانواع الجوامع كثيرة والجامع هنا التضاد ، وان كانت غير معطوفة على ما قبلها لم يلزم ان يكون بينهما جامع لورودها حينئذ على طريق الاقتضاب ، وذلك نحو قوله تعالى « كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى »

وقال كثير من العلماء يلزم هنا ايضاً ان يكون بينها جامع وعلى ذلك جرى بعض المفسرين حيث قال : يقول تعالى ما هكذا ينبغي ان يكون الانسان ان ينعم عليه ربه بتسوية خلقه وتعليمه ما لم يكن يعلم ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك ويطغى عليه ان رآه استغنى

ثم قال : للعرب في الانتقال من امر الى آخر طريقان ، احدهما الاقتضاب والآخر التخلص

اما الاقتضاب : فهو الانتقال من امر الى آخر بغتة من غير ان يمهد له تمهيداً يجعله كأنه من تتمة الامر الاول وهذا هو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين وذلك نحو قوله تعالى « كذبت ثمود بالنذر » وقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم » وقد يقع في الاقتضاب لفظ يدل على الانتقال من امر الى امر آخر وذلك مثل هذا في قوله تعالى « هذا وان للطاغين لشر مآب ، جهنم يصلونها فبئس المهاد » فان هذا ورد بعد وصف جنات عدن وبيان ما فيها مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين

واما التخلص: فهو الانتقال من امر الى امر آخر من بعد ان يمهد له تمهيداً يجعله كأنه من تتمة الامر الاول ، وقد وقع التخلص في القرآن الكريم مثل قوله تعالى « واتل عليهم نبأ ابراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون » الآيات . فان في قوله « فانهم عدو لي إلا رب العالمين » تخلصاً من ذكر الاصنام الى ذكر الله تعالى . ثم اجرى عليه تلك الصفات الدالة على عظم شأنه ووفور احسانه لينبههم على ان من كان كذلك فهو الجدير بأن يعبد ، والفرق بين التخلص والاستطراد ان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول حتى يكون المستطرد به آخر الكلام وهذان الامران معدومان في التخلص فانه لا يرجع فيه الى الاول ولا يقطع فيه الكلام بل يستمر فيه على ما تخلص اليه .

والاستطراد: هو ان يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الاول سبباً اليه وذلك كقوله تعالى «ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، ان الذي احياها لمحيي الموتى» فان الله سبحانه بينا يذكر

انزاله الغيث واهتزاز الارض بعد خشوعها بسببه ذكر ان الذي احيا الارض قادر على احياء الموتى واعادتها بعد بلاها . وكقوله تعالى «ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود» . وكقوله تعالى « فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » .

obeikandl.com

اسلوب القرآن
وفصاحته ونظمه وتركيبه

اخرج الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك ابا جهل فأتاه فقال : ياعم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا ليعطوكه فانك اتيت محمداً لتعرض لما قبله ، قال : قد علمت قريش أني من اكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له ، قال : وما اقول فوالله مافيكم رجل اعلم بالشعر مني ، لا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن ، والله مايشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله ان لقوله الذي يقول لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر اعلاه ومغدق اسفله ، وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ماتحته .

وذكر فى حديث اسلام ابى ذر الغفاري رضي الله عنه انه وصف اخاه انيساً فقال : والله ماسمعت باشعر من اخي

انيس ، لقد ناقض اثنى عشر شاعراً في الجاهلية أنا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاءني قلت فما يقول الناس ، قال يقولون شاعر كاهن (أي هم حيارى فى وصف رسول الله) ثم قال انيس : لقد سمعت ماقاله الكهنة فما هو قولهم ، ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر ، وانه لصادق وانهم لكاذبون .

روى ابن اسحاق ان قريشاً جعلوا اذا جهر رسول الله بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون ان يستمعوا له خوفاً من تأثيره على نفوسهم ، وكان الرجل منهم اذا اراد ان يستمع من رسول الله بعض مايتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقاً منهم فان رأى انهم قد عرفوا انه يستمع منه ذهب خشية اذاهم فلم يستمع ، وان خفض رسول الله صوته فظن الذي يستمع انهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم اصاخ له يستمع منه ، وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما انما نزلت هذه الآية : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » من أجل هؤلاء النفر .

وروى ابن اسحاق ايضاً : ان ابا سفيان وابا جهل والاخنس خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي في الليل بالبيت فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ماقالوا أول مرة ثم انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة الثالثة اخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما اصبح الاخنس اخذ عصاه ثم خرج حتى اتى ابا سفيان فى بيته فقال : اخبرني يا ابا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت اشياء اعرفها واعرف مايراد بها وسمعت اشياء

ماعرفت معناهـــا ولا مايراد بها فقال الاخنس : انا والذي حلفت به كذلك ، ثم خرج الاخنس من عنده حتى اتى اباجهل فدخل عليه بيته فقال : يا ابا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبـــد مناف الشرف ، اطعموا فاطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فاعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه ، والله لا نؤمن به ابداً ولا نصدقه ، فقام عنه الاخنس وتركه .

ولقد كانت قريش ترق قلوبها لسماع القرآن ، ولكن نزاع العصبية الجاهلية من رآسة وشرف وتقدم كان يحجبها عن الايمان والدخول تحت لواء الاسلام والاهتـــداء بهدي القرآن .

ولقد اخذت قريش تمنع المسلمين من قراءة القرآن جهاراً كيلا يفتتن به الناس ويؤمنوا بما جاء به ، ومن ذلك ان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ذهب مرة الى الكعبة وقت الضحى وقام عنـــد المقام وقريش في انديتها ، ثم قرأ بصوت عال

(بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان علمه البيان . الشمس والقمر بحسبان . والشمس والشجر يسجدان) فاصاخت قريش السمع حتى تنبهوا الى انه يتلو القرآن ، فصاح أحدهم انه يتلو بعض ماجاء به محمد ، فقاموا اليه ، فجعلوا يضربون وجهه ، وجعل يقرأ حتى آذوه اذى شديداً واصابوه بجروح في وجهه ، فلما عاد الى اصحابه من المسلمين قالوا له : هذا الذي خشينا عليك ، فقال عبدالله : ما كان اعداء الله اهون عليّ منهم الآن ولئن شئتم لاغادينهم بمثلها غدا ، فقال له المسلمون : لا . حسبك قد اسمعتهم مايكرهون .

فاسلوب القرآن الكريم هو اعجب العجايب لمن تفكر وتبصر : ولقد استولى بفصاحة اسلوبه وعجيب نظمه على نفوس العرب واستبد بارادتهم ، وغلب على طباعهم ، وحال بينهم وبين مانزعوا اليه من خلافه ، حتى انعقدت قلوبهم عليه وهم يجهدون في نقضه ، واستقاموا لدعوته وهم يبالغون في رفضها ، فكانوا ينفرون منه في كل وجه ثم لاينتهون إلا اليه لأنه اخذ

عليهم بفصاحته واحكام اساليبه جهات النفس العربية ، فلم يدع لهم سبيلا الى المكابرة إلا باللسان ، لقد تحداهم ان يأتوا بمثله فعجزوا ، ثم بعشر سور مفتريات تحاكيه فعجزوا ، ثم بسورة من مثله فلما عجزوا صرخ في وجوههم (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعـــدت للـكافرين) .

ولولا ان اسلوب القرآن الكريم جاء على هذا النمط من الاحكام والفصاحة لما انتهى امره الى اكثر مما ينتهي اليه امر كل كتاب في الارض ، ولما كان له اثره في اولئك العرب ولما احجموا عن معارضته وفيهم اللسن المقاول ، ولما بذلوا مهجهم ودماءهم في الحروب والمجالدة ، ولكن القرآن الكريم ملك عليهم مذاهب البيان وأراهم عجزهم لمس اليد فاستكانوا في نهاية امرهم لدعوته بعد طول العناد . وهاهو القرآن الكريم تمر به السنون والاعوام مدة اربعة عشر قرناً ولم يدع احد

معارضته الا رجع ذليلا نا كصاً على عقبيه ، وها هم امراء الفصاحة والبلاغة طوال تلك المدة يشهدون باعجازه ويقرون له صاغرين بالمرتبة العليا التي لا تمتد لها الاعناق ، كيف لا وهو يتضمن التعبير للزمن على اختلاف ادواره وتباين اطواره باسلوب انيق ونظم رشيق تضمن الكنايات البديعة الجميلة والامثال النبيلة والاستعارات الشائقة والمجازات البليغة واللغة المتينة ، في حين انه يخاطب العقل والروح والمشاعر والعواطف ، ويملك على النفس جميع مناحيها .

انظر القرآن حينما يلفت قارئه الى هذا الوجود وآياته من شمسه وقمره وليله ونهاره وبحره وبره وسمائه وارضه ونباته وحيوانه ، وكيف يشير الى موضعه من الآية ، وكيف جاء به على نهج قد وسع العرب وفصاحتها ، وبلوغها النهاية فى حسن النظم ورعاية المقام ، ومطابقة الحال الذي يليق بهم ، مخاطباً مع العقل المشاعر والاحساس ، في حين انه وسع علماء الفلك وعلماء الطبيعة وعلماء الاجنة وعلماء التشريح والطب وعلماء الحيوان والنبات على اختلاف العصور واطوارها الى القرن

الرابع عشر[1]

قال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره « فان شئت ان تشعر سمعك وذوقك بالفرق بين نظم الكلام البشري وبين الكلام الالهي فأت بقاريء حسن الصوت يسمعك بعض اشعار المفلقين وخطب المصاقع المفوهين من المتقدمين والمتأخرين بكل ما يستطيع من نغم وتحسين ، ثم ليتلو عليك بعد ذلك بعض سور القرآن المختلفة النظم والاسلوب كسورة النجم وسورة الرحمن وسورة الواقعة وسورة الحديد مثلا ثم حكم ذوقك ووجدانك في الفرق بينها في انفسها ، ثم في الفرق بين كل منها وبين كلام البشر في كل اسلوب من اساليب بلغائهم وتأثير كل من الكلامين في نفسك بعد اختلاف وقعه في مسمعك .

---

(١) الهداية الاسلامية

طرق الاعجاز في القرآن

قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ما ملخصه :

اعلم ان كون القرآن معجزاً يمكن بيانه من طريقين :

الاول — ان يقال ان هذا القرآن لا يخلو حاله من احد وجوه ثلاثة : اما ان يكون مساوياً لسائر كلام الفصحاء او زائداً عليه بقدر لا ينقص العادة ، او زائداً عليه بقدر ينقص العادة . والقسمان الاولان باطلان فتعين الثالث . وانما قلنا انهما باطلان لأنه لو كان كذلك لكان من الواجب ان يأتوا بمثل سورة منه اما مجتمعين او منفردين ، فان وقع التنازع وحصل الخوف من عدم القبول فالشهود والحكام يزيلون الشبهة وذلك نهاية في الاحتجاج لأنهم كانوا في معرفة اللغة والاطلاع على قوانين الفصاحة في الغاية وكانوا في محبة ابطال امره في الغاية حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا ضروب المهالك والمحن وكانوا في الحمية والانفة على حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل وكل ذلك يوجب الاتيان بما

يقدح في قوله والمعارضة اقوى القوادح فلما لم يأتوا بها علمنا عجزهم عنها ، فثبت ان القرآن لا يماثل قولهم وان التفاوت بينه وبين كلامهم ليس تفاوتاً معتاداً فهو اذن تفاوت ناقص للعادة فوجب ان يكون معجزاً .

الطريق الثاني : ان نقول ان القرآن لا يخلو اما ان يقال انه كان بالغاً في الفصاحة الى حد الاعجاز او لم يكن كذلك فان كان الاول ثبت انه معجز وان كان الثاني كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة ، فعدم اتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة ومع توفر دواعيهم على الاتيان بها امر خارق للعادة فكان ذلك معجزاً . فثبت ان القرآن معجز على جميع الوجوه وهذا الطريق اقرب الى الصواب . واعلم انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة غلبة ليس وراءها غلبة فدل ذلك على كونه معجزاً :

احدها : ان اكثر فصاحة العرب في وصف المشاهدات مثل وصف بعير او فرس او جارية او ملك او ضربة او طعنة

او وصف حرب او وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء شيء فكان يجب الا تحصل فيه الالفاظ الفصيحة التي اتفقت العرب عليها في كلامها .

ثانيها : انه تعالى التزم فيه طريقة الصدق وكل بليغ التزم ذلك نزل كلامه عن مرتبة البلاغة ، ألا ترى ان لبيداً وحساناً لما اسلما نزل شعرهما ولم يكن شعرهما الاسلامي في الجودة كشعرهما الجاهلي . ومع تنزه القرآن عن الكذب والمبالغة جاء على ما تراه من الفصاحة التي ليست بعدها غاية .

ثالثها : ان النثر الفصيح والنظم الفصيح انما يتفق في الرسالة شذرة منه وفي القصيدة البيت والبيتان والباقي لا يكون كذلك ، وليس القرآن كذلك لأنه كله فصيح بحيث عجز البشر عن الاتيان بسورة منه كما عجزوا عن الاتيان بمثله جملة

رابعها : ان من قال قولا فصيحاً في وصف شيء فانه اذا كررها لم يكن كلامه الثاني في وصف ذلك الشيء بمنزلة كلامه الاول بخلاف القرآن فانه أتى بالاوصاف المختلفة في المواضيع المختلفة للشيء الواحد كل ذلك في نهاية الفصاحة .

خامسها : انه أتى بايجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق واحتقار الدنيا واختيار الاخرى وامثال هذه المطالب التي لم يسبق اليها توجب تقليل الفصاحة ومع ذلك فقد أتى القرآن في ذلك بالعجب العجاب .

سادسها : الفحول من البلغاء قلما يبرزون الا في اعتراضات معينة ويضعفون في غيرها ولهذا يقولون أشعر الشعراء في الجاهلية امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وزهير اذا رغب وعنترة اذا كلب بمعنى ان الاول مبرز في وصف الخيل والثاني في الاعتذار والثالث في وصف الخمر والرابع في المديح والخامس في وصف المعارك والفتك . أما القرآن فانه احرز قصب السبق في كل المواضيع التي ذكرها والفنون التي سلكها .

سابعها : ان القرآن اشتمل على المعارف العظيمة والاسس الاجتماعية الرصينة حتى اصبح قطباً تدور حوله العلوم الكثيرة ومعيناً يغترف منه المسلمون ما فيه صلاح معاشهم ونجاح معادهم اه .

وقال الشيخ محمد عبده في رسالته في التوحيد ما ملخصه :

جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق اليه الريبة أن النبي ﷺ كان في نشأته وأميته على الحال التي ذكرنا ، وتواترت اخبار الامم كافة انه جاء بكتاب قال انه انزل عليه وان ذلك هو القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ فى صدور من عني بحفظه من المسلمين الى اليوم . كتاب حوى اخبار الامم الماضية ما فيه معتبر للاجيال الحاضرة والمستقبلة ، نقب على الصحيح منها ، وغادر الاباطيل التى الحقتها الاوهام بها ، ونبه على وجوه العبرة فيها .

حكى عن الانبياء ما شاء الله ان يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين امتهم ، وبرأهم مما رماهم به اهل دينهم المعتقدين برسالاتهم .

آخذ العلماء من الملل المختلفة على ما افسدوا من عقائدهم ، وما خلطوا في احكامهم ، وما حرفوا بالتأويل في كتبهم . وشرع للناس احكاماً تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة بالعمل بها والمحافظة عليها . وقام بها العدل وانتظم بها شمل

الجماعة ما كانت عند حد ما قدره . ثم عظمت المضرة في اهمالها والانحراف عنها او البعد بها عن الروح الذى اودعته ، ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية كما يتبين للناظر في شرائع الامم ، ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب تخشع له القلوب ، وتهش لاستقبالها العقول ، وتنصرف وراءها الهمم انصرافها في سبيل الامم .

نزل القرآن في عصر اتفق الرواة وتواترت الاخبار على انه ارقى الاعصار عنـــد العرب واغزرها مادة في الفصاحة وانه الممتاز بين جميع ماتقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطابة وانفس ما كانت العرب تتنافس فيه من ثمار العقل ونتائج الفطنة والذكاء هو الغلب في القول والسبق الى اصابة مكان الوجدان من القلوب ، ومقر الاذعان من العقول ، وتفانيهم في المفاخرة بذلك مما لا يحتاج الى الاطالة في بيانه .

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبي ﷺ والتماسهم الوسائل قريبها وبعيدها لابطال دعواه وتكذيبه في الاخبار عن الله ، واتيانهم فى ذلك على مبلغ

استطاعتهم ، وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته ، والامراء الذين يدعوهم السلطان الى مناوأته ، والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بانوفهم عن متابعته ، وقد اشتد جميع اولئك في مقاومته ، وانهالوا بقواهم عليه استكباراً عن الخضوع له وتمسكا بما كانوا عليه من اديان آباءهم ، وحمية لعقائدهم وعقائد اسلافهم ، وهو مع ذلك يخطيء آراءهم ، ويسفه احلامهم ، ويحتقر اصنامهم ، ويدعوهم الى ما لا تعهده ايامهم ، ولم تخفق لمثله اعلامهم ولا حجة له بين يدي ذلك كله إلا تحديهم بالاتيان بمثل اقصر سورة من ذلك الكتاب او بعشر سور من مثله وكان في استطاعتهم ان يجمعوا اليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاؤا ليأتوا بشيء من مثل ما اتى به ليبطل الحجة ، ويفحم صاحب الدعوة .

جاءنا الخبر المتواتر انه مع طول زمن التحدي ، ولجاجة القوم في التعدي ، اصيبوا بالعجز ، ورجعوا بالخيبة ، وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام ، وقضاء حكمه العلي على جميع الاحكام ، أليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان

أمي اعظم معجزة وأدل برهان على انه ليس من صنع البشر ، وانما هو النور المنبعث عن شمس العلم الالهي ، والحكم الصادر عن المقام الرباني على لسان الرسول الامي ﷺ . هذا وقد جاء في الكتاب من اخبار الغيب ماصدقته حوادث الكون كالخبر في قوله تعالى « ٣٠ : ٢ غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » وكالوعد الصريح في قوله « ٢٤ ، ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية . وقد تحقق جميع ذلك ، وفى القرآن كثير من مثل هذا يحيط به من يتلوه حق تلاوته .

ومن الكلام على الغيب فيه ما جاء في تحدي العرب به واكتفائه في الرجوع عن دعواه بان يأتوا بسورة من مثله مع سعة البلاد العربية ووفرة سكانها وتباعد اطرافها وانتشار دعوته على لسان الوافدين الى مكة من جميع ارجائها . ومع انه لم يسبق له ﷺ السياحة في نواحيها والتعرف برجالها وقصور العلم البشري عادة عن الاحاطة بما اودع في قوى امة عظيمة

كالامة العربية ، فهذا القضاء الحاتم منه بانهم لن يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثل ما تحداهم به ليس قضاء بشرياً . ومن الصعب بل من المتعذر ان يصدر عن عاقل التزام كالذي التزمه وشرط كالذي شرطه على نفسه . لغلبة الظن عند من له شيء من العقل ان الارض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته وانما ذلك هو الله المتكلم والعليم والخبير هو الناطق على لسانه وقد احاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول من استنهضهم له وبلوغ ما حثهم عليه .

يقول واهم : ان العجز حجة على من عجز فان العجز هي حجة الافحام والزام الخصم . وقد يلتزم الخصم بعض المسلمات عنده فيفحم ويعجز عن الجواب فتلزمه الحجة ولكن ليس ذلك يلزم لغيره ، فمن الممكن الا يسلم غيره بما سلمه . فلا يفحمه الدليل . بل يجد الى ابطاله اقرب سبيل .

وهو وهم يضمحل بما قدمناه من البيان . اذ لا يوجد من المشابهة بين اعجاز القرآن وافحام الدليل الا انه يوجد عن كل منهما عجز . وشتان بين العجزين . وبقدر ما بين وجهة

الاستدلال فيهما . فان اعجاز القرآن برهن على امر واقعي وهو تقاصر القوى البشرية دون مكانته من البلاغة . وقلنا « القوى البشرية » لأنه جاء بلسان عربي وقد عرف الكتاب عند جميع العرب في عهد النبوة وكان حال العصر من البلاغة كما ذكرنا . وحال القوم في العناد كما بينا . ومع ذلك لم يكن للعرب أن يعارضوه بشيء من مبلغ عقولهم . فلا يعقل ان فارسياً أو هندياً أو رومانياً يبلغ من قوة البلاغة في العربية أن يأتي بما عجز عنه العرب انفسهم . وتقاصر القوى جميعها عن ذلك . مع التماثل بين النبي وبينهم في النشأة والتربية . وامتياز الكثير منهم بالعلم والدراسة دليل قاطع على ان الكلام ليس مما اعتيد صدوره عن البشر . فهو اختصاص من الله سبحانه وتعالى لمن جاء على لسانه . ثم ورد في القرآن من تسجيل العجز عليهم . والتعرض للاصطدام بجميع ما اوتوا من قوة . مما يدل على الثقة منه على ماسبق تعداده من الامور التي لا يمكن معها لعاقل أن يقف ذلك الموقف مع طول الزمن وانفساح الأجل كل ذلك يدل على ان الناطق هو عالم

الغيب والشهادة . لا رجل يعظ وينصح على العادة .

فثبت بهذه المعجزة العظمى . وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي الذي لا يعرض عليه التغيير . ولا يتناوله التبديل اهـ .

وقال الاستاذ محمد فريد وجدي ما ملخصه : ان العلة فى نظرنا واضحة لا تحتاج الى كبير نائل وهي ان القرآن روح من امر الله « وكذلك اوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » فهو يؤثر بهذا الاعتبار تأثير الروح فى الاجساد فيحركها ويتسلط على اهوائها . فهذه الآية وحدها تكفي فى ارشادنا الى جهة أعجاز القرآن وقصور الأنس والجن على الاتيان بمثله . وهذا هو سر بقائه وخلوده تتلألأ انواره الزاهية ، فهو ذو روحانية خاصة لها شأنها الأسمى هي سر الاعجاز وهي التى قلبت شكل العالم وكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله فى ارضه وارغمت لها معاطس كل جبار عنيد حتى صاروا ملوك الملوك واخوان الملائكة فى مدة لا يصعب عد سنينها على الاصابع « يلقي الروح من امره على ما يشاء من عباده » .

لا مشاحة فى ان القرآن فصيح قد اخرس بفصاحته فرسان البلاغة وقادة الخطابة وملوك البيان . وهو حكيم بهر سماسرة الحكمة . وادهش اساطين التشريع . وحير اراكين التنظيم والتقنين . وهو حق الزم كل غال الحجة ودل كل باحث على المحجة ، وهو هدى ونور وشفاء لما فى الصدور . كل هذه صفات جلية تؤثر على العقل والشعور والعواطف والميول فتتحكم بها تحكم المالك في ملكه ولكنه فوق ذلك كله هو « روح من امر الله » نصل من روح الانسان الى حيث لا تصل اليه اشعة البلاغة والبيان ولا سيالات الحكمة والعرفان . وتسري من صميم معناه الى حيث لا يحوم حوله فكر ولا خاطر . تنفذ هذه الروحانية الى سريرة الانسان وتستولي منها على اصل حياته ومهب عواطفه واحساساته وتخلقه خلقاً جديداً ، ألا ترى كيف فعلت بأولئك العرب الذين لبثوا قروناً عديدة على حالة واحدة لا يتحولون عنها فنفختهم بروح عالية جالوا بواسطتها جولتهم المشهورة واخضعوا لسلطانهم معظم المعمورة ونشروا في ارجائها الفضائل والكمالات بعد

ان كانوا ممزقين مشتتين لا تجمعهم جامعة سياسية ولا تؤلف بينهم رابطة قومية ولا دينية . على ان القرآن روح الهي وامر سماوي ، وأي وجه من وجوه اعجازه اوقع في النفس وانفى للشك واولى بالقبول من وجه روحانيته ، أي انسان يرى العربي الذى كان بالامس جزاراً او راعياً او تاجراً ، وكان مغموراً في جمهور جاهل لا يحترم دستوراً ولا يخضع لنظام . ثم اصبح بعد ان اهتدى بمنار هذا الكتاب قائداً محنكا يقود جيشاً يرغم به معاطس الجبابرة . ثم لا يلبث أن يرفع للعدل مناراً ويغمر تلك الامم المغلوبة بجلائل الفضائل ومحاسن الكمالات ، أى انسان يرى ذلك ولا يقر بأن العربي قد اكتسب روحاً لم تكن فيه من قبل وليست من جنس الارواح الموجودة في علياء النفوس واصحاب الفضائل من الافراد . كيف لا يستدل هذا الانسان بالحس على تلك الروحانية وقد اصبح يرجو من كان يخافه ويتعلم ممن كان لا يرى أجهل منه . ويتخلق باخلاق من كان لا يرى شراً اكثر منه . ومن هذا يظهر ان للقرآن فوق الفصاحة والحكمة

والدستور روحانية يدركها من لاحظ له في فهم بلاغة الكلام وتقدير الحكمة وادراك الدستور . فهذه الروحانية تظهر للعارف باللغة ومرامي بلاغتها ، وللجاهل بذلك ، تظهر للاول بذاتها وللثاني بأثرها ونتائجها . . اهـ

وقال الاستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه اعجاز القرآن ما ملخصه :

لاجرم كان القرآن في نظمه وتركيبه نمطاً واحداً في القوة والابداع لاتقع منه على لفظ واحد يخل بطريقته مادامت تنعطف عليه جوانب هذا الكلام الالهي وما دام في موضعه من النظم والسياق ، فاذا أنت حرفت الفاظه عن مواضعها أو أخرجتها من أماكنها وأزلتها عن روابطها حصلت معك الفاظاً كغيرها مما يدور في الالسنة ويجري في الاستعمال ورأيتها ـ وهي في الحالين لغة واحدة ـ كأنما خرجت من لغة الى لغة لبعد ماكانت فيه مما صارت اليه ، بيد أنك اذا تعرفت الفاظ اللغة على هذا الوجه في كلام عربي غير القرآن أصبت أمراً بالخلاف ورأيت لكل لفظة روحاً في تركيبها

من الكلام فاذا أفردتها وجدتها قريبة مما كانت لانها هي نفسها التي كانت من روح التركيب ، ولم يكن لهذا التركيب في جملته روح خاصة بالنسق والنظم فيعطي كل لفظة معنى في الجملة كما اعطتها اللغة معنى في الافراد حتى اذا ابنتها وميزتها من هذه الجملة ضعفت ونقصت وتبينت فيها من الوحشة والقلة شبيه الذي يعرض للغريب اذا نزح عن موطنه وبان من أهله وكان كل ذلك فيها طبيعياً لان حقيقية التركيب انما هي صفة الوحي في هذا الكلام .

وهذه الروح التي اومأنا اليها (روح التركيب) لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين اجزائها تفاوت او تباين اذ تراه ينظر في التركيب الى نظم الكلمة وتأليفها ثم الى تأليف هذا النظم . فمن ههنا تعلق بعضه على بعض وخرج فى تلك الروح صفة واحدة هي صفة اعجازه فى جملة التركيب فيما عرفت ، وان كان فيما وراء ذلك متعدد الوجوه التي يتصرف فيها من اغراض الكلام

ومناحي العبارات على جملة ما حصل به من جهات الخطاب كالقصص والمواعظ والحكم والتعليم وضرب الامثال الى نحوها مما يدور عليه . ولولا تلك الروح لخرج اجزاءاً متفاوتة على مقدار مابين هذه المعاني ومواقعها فى النفوس .

الى ان قال :

وانك لتحار اذا تأملت تركيب القرآن ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها ، وتقعد بك العبـــارة اذا انت حاولت ان تمضي فى وصفه : حتى لا ترى فى اللغة كلها ادل على غرضك واجمع لما فى نفسك وأبين لهذه الحقيقة غير كلمة الاعجاز .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا فى كتابه الوحي المحمدي :

لو ان عقائد الاسلام المنزلة فى القرآن من الايمان بالله وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما فيه من الحساب والجزاء ودار الثواب ودار العقاب جمعت مرتبة فى ثلاث سور او اربع او خمس مثلا ككتب العقائد المدونة .

ولو ان عباداته من الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج

والدعاء والاذكار وضع كل منها في بضع سور ايضاً مبوبة مفصلة ككتب الفقه المصنفة .

ولو ان آدابه وحكمه وفضائله الواجبة والمندوبة وما يقابلها من الرذائل والاعمال المحرمة والمكروهة ، افردت هي وما تقتضيه من الترغيب والترهيب من المواعظ والنذر والامثال ، الباعثة لشعوري الخوف والرجاء ، فصلت في عشر سور او اكثر ككتب الاخلاق والآداب المؤلفة

ولو ان قواعده التشريعية واحكامه الشخصية والسياسية والحربية والمالية والمدنية وحدوده وعقوباته التأديبية رتبت في عدة سور خاصة بها كأسفار القوانين الوضعية

ثم لو ان قصص النبيين والمرسلين وما فيها من العبر والمواعظ والسنن الالهية سردت في سورها مرتبة كدواوين التاريخ .

لو ان كل ماذكر وما لم يذكر من مقاصد القرآن التي اراد الله بها اصلاح شؤون البشر جمع كل نوع منها وحده كترتيب اسفار التوراة التاريخي التي لا يعلم احد مرتبها ، او كتب العلم والفقه والقوانين لفقد القرآن بذلك اعظم مزايا هدايته المقصودة القصد الاول من التشريع وحكمة التنزيل

وهو التعبد به واستفادة كل حافظ للكثير او للقليل من سوره — حتى القصيرة منها — كثيراً من مسائل الايمان والفضائل والاحكام والحكم المنبثة فى جميع السور . لان السورة الواحدة لا تحوي فى هذا الترتيب المفروض إلا مقصداً واحداً من تلك المقاصد وقد يكون احكام الطلاق او الحيض فمن لم يحفظ إلا سورة طويلة فى موضوع واحد يتعبد بها وحدها ، فلا شك انه يملها

واما سوره المنزلة بهذا الاسلوب الغريب ، والنظم العجيب فقد يكون فى الآية الواحدة الطويلة والسورة الواحدة القصيرة عدة الوان من الهداية وان كانت فى موضوع واحد ، فترى فى سورتي الفيل وقريش ذكر مسألتين تاريخيتين قد جعلتا حجة على مشركي قريش فيما يجب عليهم من توحيد الله وعبادته بما من عليهم من عنايته بحفظ البيت الحرام وامنه وهو مناط عزهم وفخرهم وشرفهم ومعقل حياتهم ومجبي تجارتهم ورزقهم

اخبار عن الماضين والغيبيات

اخبر القرآن الكريم عما وقع للانبياء مع اقوامهم من القصص والحوادث في العصور الماضية كقصة آدم عليه السلام مع الملائكة والشيطان ، وكقصة نوح عليه السلام مع قومه وكيف دعاهم الى الخير وترك عبادة الاصنام فاعرضوا ثم انذرهم العقاب فعموا وصموا ووضعوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ، ففزع نوح الى الله ودعا عليهم وقال « رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا » فاتاهم الطوفان حتى طوتهم المياه طي السر في الفؤاد . وكقصة هود عليه السلام مع قومه عاد وكيف قابلوه بالعناد ورموه بالسفه والمس وبقي يدعو ويعرضون الى ان اتاهم الله بريح صرصر عاتية فاصبح القوم بعدها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية . وكقصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود كيف عقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا : يا صالح ائتنا بما

تعدنا ان كنت من المرسلين ، فقال لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ترون بعدها العذاب الاليم ، فبيتوا له ولأهله الشر واضمروا على قتله مع اهله ولكن الله لم يمهلهم بل انزل عليهم عقابه فاخذتهم الصاعقة فاصبحوا في دارهم جاثمين . وكقصة ابراهيم عليه السلام مع اهل بابل وملكهم نمرود وكيف افتتح دعوته الى الله بدعوة ابيه فاعرض عنها وكيف حطم اصنام قومه ، وكيف القوا به فى النار فحفظه الله تعالى من لظاها وانقذه من سعيرها وقال لها يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ، وذكر ما جرى بين ابراهيم عليه السلام وبين النمرود من المحاجة والجدل ثم هجرته من بابل الى فلسطين ومن هناك الى مصر وعما جرى بينه وبين ملكها العمليقي ثم ما كان بينه وبين ولده اسماعيل عليهما السلام وبناء الكعبة . وكقصة لوط عليه السلام وقومه في مدينة سدوم وكيف كان ينهاهم عما كانوا عليه من انحلال في الاخلاق وفساد في الحال وحب الفاحشة ولكن آذانهم وقرت وعيونهم عميت وقلوبهم غلفت فاندفعوا في شرورهم واستمروا على فجورهم ، فدعا عليهم لوط عليه

السلام فاستجاب الله دعاءه وبعث ملائكته الى اهل هذه القرية الظالم اهلها فأمروا لوطاً ان يسري هو واهله بقطع من الليل والا يصطحب امرأته فسيحل بها ما يحل بالقوم جزاء نفاقها ومشايعتها لهم ، ولما فارق لوط واهله القرية ، جاءها أمر الله وزلزلت الارض زلزالها فصار عاليها سافلها ، ثم غشيت بمطر من سجيل فاصبحت ديارهم خاوية بما ظلموا . وكقصة يعقوب عليه السلام وبنيه ويوسف واخوته ، والحوادث التي وقعت ليوسف واخوته والحوادث التي وقعت ليوسف عليه السلام في مصر . وكقصة شعيب عليه السلام واهل مدين وما نزل بهم من العذاب . وكقصة موسى عليه السلام من ولادته الى وفاته وماجرى له من الحوادث مع فرعون وقومه بني اسرائيل والخضر وغير ذلك من الحوادث . وكذلك ما كان لداود وسليمان عليهما السلام من الحوادث والوقائع ، وما كان لسليمان عليه السلام مع بلقيس والنملة . ثم ماجرى لبني اسرائيل لما استشرى فيهم الفساد وتهافتوا فى حمأة الضلال ، ولم تعد للرحمة مكان فى نفوسهم فانذرهم ارميا بشر مستطير اذا لم

ينتهوا عما نهوا عنه فقابلوه بالسخر والهزء ولم يكتفوا بذلك بل رموه فى سجن عميق ، فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل حيث زحف عليهم فدخل فلسطين وهدم بيت المقدس واحاط القوم قتلا وذبحاً وأسراً وسبياً ثم فرقهم فى الارض بدداً ، ثم خلف بختنصر بعد وفاته ملك خافض الجناح ورأى القوم من بني اسرائيل يتقلبون فى اصناف الذل وينالون الوان العذاب فرق لحالهم وفك اسرهم ورخصهم للعودة الى بلادهم فرجعوا الى بلادهم ورد الله الكرة عليهم وامدهم بالاموال والبنين — وكان من حقهم ان يعتبروا بما كان وان يقابلوا النعمة بالشكران . ولكن انى للنفوس التي طبعت على الشر ان تستروح الخير وتميل الى الصلاح ، وأنى لسلائل القوم الذين تمالئوا على يوسف ، وآذوا موسى من بعده ان تأنس نفوسهم الى الاطمئنان ، او تنسى العدوان ، فانهم ما عتموا ان رجعوا ادراجهم الى الشر واخذوا يخبطون فى خبال الظلم والبغي ، حتى اذا ما قام فيهم زكريا ويحيي نبيين رحيمين ورسولين كريمين ، سفكوا دمهما ، كأن نفوسهم عطشى الى

الدماء ، وكأن وتراً بينهم وبين الانبياء ، وعادوا الى الشر والعدوان وعاد الله بهم الى المكر والانتقام ؛ وسلط عليهم (جودرز) كما سلط على من قبلهم بختنصر ، واعاد الكرة عليهم من ذهاب ملكهم وتخريب معابدهم ، وهكذا مزقوا كل ممزق ، وتفرقوا تحت كل كوكب ، وضرب الله عليهم ابد الدهر الذلة والمسكنة ، وباؤا بغضب من الله « ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . وكقصة يونس عليه السلام مع اهل نينوى والمسيح عليه السلام وبني اسرائيل وذي القرنين واصحاب الكهف واصحاب الاخدود واصحاب الفيل الى غير ذلك مما يطول شرحه ويخرجنا عن الاقتصار فى الاستقصاء .

كما اخبر عن المغيبات فى عصر تنزيله وفي المستقبل ، كقوله تعالى (غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » وقد وقع ما اخبر به القرآن الكريم من انتصار الروم على الفرس . وكقوله تعالى

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون » وقد فتح المسلمون مكة ودخلوها آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين . وكقوله تعالى « وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم » وقد حقق الله ذلك فى القرون الاولى من صدر الاسلام ، وسيتم الله وعده للمسلمين فى الاعوام المقبلة فيسودون العالم كما سادوه من قبل ، وكقوله تعالى في تعذيب اليهود وبقائهم تحت حكم غيرهم « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » وها نحن نقرأ عما يجري لليهود في جميع اقطار العالم من ظلم واضطهاد وسيبقون هكذا الى يوم القيامة ، ولا يعتقد احد ان تقوم لهم قائمة الى يوم القيامة وما قضية الوطن القومي في فلسطين الا بركاناً يريد الله ايقاعهم فيه لتهلك البقية الباقية منهم . وكقوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فقد وعد الله تعالى بحفظ القرآن من النسيان والتغيير والتبديل وقد مضى على نزوله اربعة عشر قرناً وهو

هو كما نزل بخلاف بقية الكتب الاخرى التي اعتراها التغيير والتبديل . وكقوله تعالى « قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » وقد قال ابن مسعود انها نبأ غيبي عمن يأتي بعد ، وظهر مصداقها في الحرب العظمى والحروب التي تجري الآن الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت فى هذا الباب والتي لا يمكن استقصاؤها فى هذه العجالة .